الفصل السابع

التربية السلبية وغياب الراعى

المبحث الأول: السلبية عائق من عوائق النجاح

كل واحد منَّا يتطلع إلى أن يحقق أكبر قدر من النجاحات والإبداعات فى حياته، فيفكر فى كل ما من شأنه الوصول به إلى معالى الأمور، مهما كلفه من جهد ووقت، ومن المسلَّم به أنَّ ثَمَّة عوائق تعترض فى طريق النجاح والإبداع، فتمنع أو تعيق من التقدم والوصول، وهذا حال هذا الطريق فقد ملئ بالمصاعب والمتاعب والمشاق.

والمتأمل لسير الناجحين والمبدعين يجد أنّهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه، إلا بالجد والاجتهاد والمثابرة، مما جعلهم يتمكنون من تخطى هذه العوائق، والعوائق تتنوع وتتشكل على حسب الزمان والمكان، فقد تكون مادية أو جسدية أو اجتماعية أو نحو ذلك، وهنا تختلف همم الناس فى التعامل معها، وكثيرًا ما تتلاشى أمام الإصرار والهمة العالية.

ولكن هناك عوائق يغفل عنها أكثر الناس، ولا يتفطنون لها، وهى لا تعيق فحسب، بل قد تقف حاجزًا منيعًا فى طريق النجاح والإبداع، بل قد تعرقل وتحطم كل الآمال والتطلعات.

وهذه العوائق عبارة عن كلمات سيئة وأوصاف جارحة تفتك فتكًا! بل تقتل قتلًا! حتى لا تبقى أى أثرٍ بعدها! ومما يزيد فى خطورتها أنَّ من تصدر منه قد لا يقدّر ضررها، وكذلك قد يلقيها وهو يشعر أو لا يشعر؛ لذلك أعتبرُ أنّها من أشد العوائق فى طريق النجاح والإبداع، وأنّ كل عائق قد لا يكون صعبًا عندما يكون هناك همة عالية ومصابرة ومثابرة.

أما هذه الكلمات السيئة والأوصاف الجارحة قلّ من ينجو من أثرها؛ لأنَّ مكمن الخطر فيها التحطيم النفسى الذى يُشعر بالنتيجة المسبقة، وهى الفشل فى سلوك هذا الطريق أو ذاك! فصارت بمثابة الرصاصة التى قضت على ما تبقى من معانى النجاح!

ما أريد الوصول إليه هو أنّ هناك من المربين من الآباء والأمهات والمدرسين وكذلك من بعض الأقارب والأصدقاء، ممن يساهم بشكل مباشر أو غير مباشر بقتل الإبداع والنجاح فى نفوس من حوله، وكذلك فيمن يكون تحت يده بهذه الكلمات السيئة والأوصاف الجارحة.

وهذا القتل يتم من خلال صور متعددة، تحدث كثيرًا فى المجتمع، وبشكل كبير وللأسف: ومن هذه الصور:

- كلمة قاسية تحطم مستقبل هذا المتربى، أو وصف جارح يصطبغ به الابن حتى يكون صفة له لا تكاد تفارقه.

- أو من خلال مقارنة بحال سيئ، كأن يقال: إنك ستكون مثل فلان، أو من خلال إطلاق الأحكام التعسفية المسبقة.

- ومن الأمثلة التى توضح ذلك ما يلى:

مثلًا تجد بعض المدرسين من الجهال يطلقون بعض الأوصاف الجارحة والكلمات السيئة لبعض الطلاب، فيقول مثلًا: مستقبلك فى حرفة دنيئة، أو أنك لا تفهم، أو المشكلة ليست فيك، وإنّما فى من أوصلك إلى هذه المرحلة وأنت لا تعرف.

وهكذا من هذه الكلمات السيئة والأوصاف الجارحة التى تضر بالمتربى المسكين أيما ضرر، فبدل أن يعالج الموقف صار سببًا فى تأزمه.

- وقد حكى أحد الفضلاء موقفًا حصل لأحد الطلاب فى الفصل، حيث يقول الطالب عن نفسه: بينما المدرس يشرح إذ سمعنا صوت شاحنة كبيرة مرت بجانب

المدرسة، فقال المدرس لى: يا فلان مستقبلك سواق (تريلة)، يقول هذا الطالب فصار هذا الوصف لا يفارقنى فقد تحطمت وأخفقت فى دراستى، بينما من حولى من إخوانى درسوا ونجحوا وخدموا المجتمع فى أماكن مرموقة.

وهذا الموقف يحصل يوميًّا ويتكرر كثيرًا فى مدارسنا وللأسف الشديد، ويصدر من مدرسين وأناس لا يعرفون ضرر ما يتلفظون به من إطلاقٍ للأوصاف الجارحة والكلمات السيئة، هنا وهناك.

وعلى صعيد الآباء والأمهات، فحدث ولا حرج أيضًا من إطلاق الأوصاف السيئة، والكلمات البذيئة لأبنائهم، فكم من الأبناء ممن صار يسمى نفسه بوصف سيئ كان مصدره من أحد والديه أو من كلاهما حتى عرف بهذا الوصف، واشتهر بين إخوانه بل وأقاربه وجيرانه، فاقتنع هذا الابن المسكين أنَّ هذا هو الوصف المناسب له، فتدهورت حياته، وصار همه كيف يلبى شهوة بطنه وفرجه.

لذلك لا بد للمربى إنَّ لم يستطع إطلاق الكلمات المشجعة والأوصاف الطيبة أن يسكت ولا يتكلم بما يجرح من تحت يده، وإن كان الأولى اختيار الكلمات والأوصاف التى تزيد فى همة المتربى.

وأن يلقب النشئ بأوصاف لها وقعها حتى يحرص على أن يحققها، وذلك بأن يحاول المربى من الآباء والمدرسين أن يتلمسوا قدرات المتربى وما يهواه مما يكون فيه نفع لنفسه ولغيره.

وكذلك يصان المتربى ويحمى من الكلمات السيئة ولأوصاف الجارحة والتى قد تطلق عليه هنا أوهناك فيبين له كيفية التخلص منها حتى لا تكون عقدة فى طريقه.

المبحث الثانى: الأنماط السلبية فى تربية الطفل

تمهيد:

إنَّ أهمية التربية تكمن فى أنّها موجهة إلى الإنسان، وليس أى إنسان بل إلى أولادنا الذين نبغى لهم السعادة الدنيوية والأخروية، وتوجه هذه التربية إلى أغلى شىء فى الإنسان وهو العقل الذى ميز الله به الإنسان عن باقى المخلوقات، ومن هنا تأتى أهمية التربية، فهى تهذيب وتقويم للأفكار الهدامة، والأخلاق السيئة، والأسرة هى الراعى التربوى الأول الذى يترعرع فيها الطفل ويفتح عينيه فى أحضانها، وبعدها المؤسسة الثانية وهى المدرسة، ولكن تتشكل شخصية الطفل خلال الخمس السنوات الأولى؛ لذا كان من الضرورى أن تلم الأسرة بالأساليب التربوية الصحيحة التى تنمى شخصية الطفل وتجعل منه شابًّا واثقًا من نفسه صاحب شخصية قوية ومتكيفة وفاعلة فى المجتمع.

وتتكون الأساليب غير السوية والخاطئة فى تربية الطفل؛ إما لجهل الوالدين بتلك الطرق أو لاتباع أسلوب الآباء والأمهات والجدات، أو لحرمان الأب أو الأم من اتجاه معين: فالأب عندما يحرم من الحنان فى صغره تراه يغدق على طفله بهذه العاطفة أو العكس، بعض الآباء يريد أن يطبق نفس الأسلوب المتبع فى تربية والده له على ابنه، وكذلك الحال بالنسبة للأم، وقد ينتج عن ذلك اتجاهات غير سوية وخاطئة ينتهجها الوالدين أو أحدهما فى تربية الطفل والتى تترك بآثارها سلبًا على شخصية الأبناء.

وكما تحتاج الأسرة إلى المال لتزود به حاجتها الضرورية فحاجتها إلى غذاء الروح وغذاء العقول أشد من حاجتها إلى المال، فتوفير الأشياء المادية للولد فحسب، هو من أخطر الأشياء التى تساعد فى ضياع الأبناء، وإنّ المال وحده لا يكفى لتنشئة أبناء أصحاء من الناحية النفسية، ومن الناحية البدنية والاجتماعية، بل على العكس من ذلك، بل قد يكون توفير المال سببًا رئيسًا فى انحراف الأبناء، ويقول بعض الآباء: إنَّ أحسن ما تنفقه على ولدك ليس المال، وإنّما الوقت، فالأبناء بحاجة إلى الرعاية الشخصية، ومن المؤسف أيها الإخوة أنَّ كثيرًا من الآباء لا يلتقون بأولادهم وبأزواجهم، إلا على مائدة الطعام، هذا إن لم يكن أحدهم مدعوّا على الغداء أو العشاء، فقد يلتقى مع أولاده على مائدة الطعام، لمدة عشر دقائق، أو ربع ساعة، أما بقية الوقت فقد تركهم فى لا شىء، ثم بعد ذلك ينزعج ويغضب ويفاجأ إذا وجد من أبنائه شيئًا من الانحراف.

وغياب الراعى ليس المقصود به عدم الوجود إما بسفره أو انهماكه فى عمله فقط، ولكن أقصد غياب الوعى للراعى والمربى، إما بجهل أو سوء علم، أو خطأ فى الفهم، وأركز هنا على غياب الراعى بجهله بأساليب التربية، وهذا أخطر ما فى الموضوع؛ لأنه دائما يؤدى إلى نتائج سلبية سيئة، ومن أهم الأنماط السلبية فى تربية الطفل:

التسلط والسيطرة، ومنها التدليل الزائد، والإهمال، وغيرها من الطرق الخاطئة، وهناك أيضًا بعض الوسائل الإلكترونية الحديثة التى نترك أبناءنا فى أحضانها تربيهم لنا ولا نتابعهم ولا نبحث على أثر هذه الوسائل إلا بعد فوات الأوان؛ منها: التلفاز، والألعاب الإلكترونية، والإنترنت وعيرهم، وهناك بعض العادات والعلاقات الاجتماعية التى ربما تترك أثرًا سلبيًّا أيضًا فى شخصية الطفل، ويهملها كثيرًا من المربين، ولا يعطونها أهمية، وهى فى غاية الخطورة، إن غاب عنها الراعى مثل: مجموعة الأصدقاء، والدروس الخصوصية، وهناك بعض العادات الجميلة التى تنمى مواهب الطفل وتوسع معارفه وآفاقه، والتى تكاد تكون غير موجودة

الآن فى بيوتنا ولا يهتم بها الراعى أو المربى، ألا وهى المكتبة، وأثر غيابها عظيم على عقلية الطفل، وإليكم بعض التفصيل:

- من أنماط التربية الخاطئة التى تؤدى إلى نتائج سلبية:

١ - الحماية الزائدة:

أمرنا ديننا الإسلامى الحنيف بالوسطية والاعتدال فى كل شىء، يعين لا إفراط ولا تفريط، وحماية الأطفال واجبة على الأبوين لأن الأطفال قليلو الخبرة فى الحياة ربما يعرضون أنفسهم للخطر وهم لا يشعرون، ولكننا هنا لا نتكلم عن هذه الحماية الضرورية والواجبة على كل أولياء الأمور تجاه أولادهم، ولكننا بصدد الحديث عن الحماية الزائدة التى تُلغَى معها شخصية الطفل فى كل شىء، فقد

يقوم أحد الوالدين أو كلاهما نيابة عن الطفل بالمسئوليات التى يفترض أن يقوم بها الطفل وحده، حيث يحرص الوالدان أو أحدهما بدافع حماية الطفل على التدخل فى شئونه، وقد تظهر الحماية الزائدة للطفل من قبل الأم على سبيل المثال؛ خوفًا من أن يصيبه مكروه أو عدوان أو حتى عدوى ما؛ فتقوم مثلًا بحجبه عن البشر ومنعه عنهم؛ فلا مجال لتقبيله من قبل الآخرين، ولا مداعبته وتقديم الحلوى له، أو عدم السماح له باللعب مع الأطفال إلا تحت رقابة شديدة وصارمة.

وقد لا يتاح للطفل فرصة اتخاذ قراره بنفسه وعدم إعطائه حرية التصرف فى كثير من أموره، مثل: حل الواجبات المدرسية عن الطفل أو الدفاع عنه عندما يعتدى عليه أحد الأطفال فى الشارع أو المدرسة، وقد يرجع ذلك إلى خوف الوالدين على الطفل لا سيما إذا كان هذا الطفل هو الطفل الأول أو الوحيد أو إذا كان ولد وسط عديد من البنات أو العكس فيبالغان فى تربيته وحمايته، وهذه الحماية الزائدة، وهذا الأسلوب بلا شك يؤثر سلبًا على نفسية الطفل، وشخصيته، فينمو الطفل بشخصية ضعيفة غير مستقلة يعتمد على غيره فى أداء واجباته الشخصية، وعدم القدرة على تحمل المسئولية ورفضها، إضافة إلى انخفاض مستوى الثقة بالنفس وتقبل الإحباط،

تؤدى أيضًا إلى أن ينشأ الأطفال وهم غير قادرين على تنمية قوة الاحتمال أو تطوير ذواتهم وهذا يقودهم إلى الأنانية.

ويصل الأمر بهؤلاء الأطفال إلى أنّهم لا يثقون فى قراراتهم التى يصدرونها ويثقون فى قرارات الآخرين، ويعتمدون على الآخرين فى كل شىء ويكون نسبة حساسيتهم للنقد مرتفعة، ويكونون تبع لغيرهم مما قد يعرضهم للانقياد وراء المنحرفين من الأطفال، ويصبحون غير نشيطين ولا يعتمدون على أنفسهم، وذلك بسبب الفرص المحدودة لديهم للمغامرة كونهم قليلو الثقة بأنفسهم، لا يتعاملون مع بيئتهم أو مع الآخرين، ولذلك يتولد الشعور بالخجل والخوف من الآخرين، وهذا الأسلوب من شأنه إيجاد طفل مدلل عنيد وغير اجتماعى، ولا بد أن يعانى عدم التوازن فى المعاملة التى يتلقاها بين المنزل والمدرسة، ومن ثم بين المنزل والحياة بشكل عام عندما يكبر.

٢- التدليل:

والتدليل مطلوب لكن دون إفراط فيه؛ لأنَّ الشىء إذا زاد عن حده قُلب إلى ضده، وقد نص علماء النفس على أنَّ الإسراف فيه له عواقب وخيمة، والتدليل قضاء كل ما يريده الطفل مهما كان سخيفًا، وأن يكون الجميع رهن إشارته فلا شىء ينقصه ولا يضايقه، وهو أيضًا أن نشجع الطفل على تحقيق معظم رغباته كما يريد هو، وعدم توجيهه، وعدم كفه عن ممارسة بعض السلوكيات غير المقبولة سواء دينيًّا أو خلقيًّا أو اجتماعيًّا والتساهل معه فى ذلك.

والمثال على ذلك عندما يتعلم الطفل السباب والشتائم سواء من بعض الأقارب أو من الشارع لا ينهاه الأب والأم عنها، بل ربما يفرحون ويشجعونه على ذلك فرحين بأنه ينطق ويتكلم ويقولون عندما يكبر نعلمه، وأيضًا عندما تصطحب الأم الطفل معها إلى منزل الجيران أو الأقارب ويخرب الطفل أشياء الآخرين ويكسرها لا تزجره بل تضحك له وتحميه من ضرر الآخرين، وهكذا.

وقد يتجه الوالدين أو أحدهما إلى اتباع هذا الأسلوب مع الطفل؛ إما لأنه طفلهما الوحيد، أو لأنه ولد بين أكثر من بنت أو العكس، أو لأنَّ الأب قاسٍ فتشعر الأم تجاه الطفل بالعطف الزائد فتدللّه وتحاول أن تعوضه عما فقده، أو لأن الأم أو الأب تربيا بنفس الطريقة فيطبقان ذلك على ابنهما.

والطفل المدلل يأخذ ولا يعطى مما يؤدى به إلى:

- الشعور بالنقص حين يواجه العالم الخارجى، حيث تعود أن يكون محط الأنظار مما قد لا يتوفر له فيفقد ثقته فى نفسه.
- يتحامل على الناس ويشعر بالاضطهاد مما يهدم شخصيته.
- يعيش فى صراع نفسى بين رغبته فى توكيد ذاته أو الاتكال على الآخرين كما تعود.
- عدم تدريبه على أى مسئولية أو قيمة أو نظام بدءًا بألعابه المرمية، أو استذكاره لدروسه.

ولا شك أنَّ لتلك المعاملة مع الطفل آثار على شخصيته، ومن نتائج تلك المعاملة أنَّ الطفل ينشأ لا يعتمد على نفسه غير قادر على تحمل المسئولية بحاجة لمساندة الآخرين ومعونتهم، ويعود الطفل عدم المبالاة، وعندما يكبر تحدث له مشكلات عدم التكيف المجتمع، فينشأ وهو يريد أن يلبى له الجميع مطالبه، يثور ويغضب عندما ينتقد على سلوك ما ويعتقد الكمال فى كل تصرفاته وأنه منزه عن الخطأ، وعندما يتزوج يحمل زوجته كافة المسئوليات دون أى مشاركة منه، ويكون مستهترًا نتيجة غمره بالحب دون توجيه.

فيجب على الآباء أن يعتدلوا فى تدليل الأطفال، وفى الهدايا للأطفال خصوصًا؛ ليتعود الأطفال أنَّ السعادة لا تأتى من خلال إمطارهم بالأعطيات والهبات والأموال واللعب، ويجب أن يعطونهم بحساب، فلقد تبين من خلال دراسة عملية ميدانية أنَّ أسعد الأطفال هم من يحصلون على قدر معتدل من الحاجات الضرورية،

أما أولئك المدللون فهم بعيدون عن السعادة؛ لأنّهم تربوا على الحصول عليها بسهولة، ولأنّهم ظنوا أن السعادة تتحقق من خلال هذه الأشياء.

٣- التسلط أو السيطرة:

وهو سيطرة الأب أو الأم على نشاط الطفل والوقوف أمام رغباته، ومنعه من القيام بسلوك معين لتحقيق رغباته التى يريدها حتى ولو كانت مشروعة، أو إلزام الطفل بالقيام بمهام وواجبات تفوق قدراته وإمكاناته، ويرافق ذلك استخدام العنف أو الضرب أو الحرمان أحيانًا، كأن تفرض الأم على الطفل ارتداء ملابس معينة أو طعام معين أو أصدقاء معينين، أو الخروج فى أوقات لا يرغب الخروج فيها، أو زيارة أحد الأقارب التى لا يرغب فى الذهاب إليهم، أيضًا عندما يفرض الوالدين على الابن تخصص معين فى الجامعة أو دخول قسم معين فى الثانوية قسم العلمى أو الأدبى...أو .... أو ...... إلخ..

وقد يعتقد الوالدان أنَّ ذلك فى مصلحة الولد دون أن يعلموا أنّ لذلك الأسلوب خطر على صحة الطفل النفسية وعلى شخصيته مستقبلًا، ونتيجة لذلك الأسلوب المتبع فى التربية، ينشأ الطفل ولديه ميل شديد للخضوع واتباع الآخرين لا يستطيع أن يبدع أو أن يفكر، أو أن تظهر شخصيته المستقلة ورغباته المفضلة التى ربما تكون نافعة لنفسه ولمجتمعه، وعدم القدرة على إبداء الرأى والمناقشة، كما يساعد اتباع هذا الأسلوب فى تكوين شخصية قلقة خائفة دائمًا من السلطة تتسم بالخجل والحساسية الزائدة، وتفقد الطفل الثقة بالنفس وعدم القدرة على اتخاذ القرارات وشعور دائم بالتقصير وعدم الإنجاز، وقد ينتج عن اتباع هذا الأسلوب طفل عدوانى يخرب ويكسر أشياء الآخرين؛ لأنَّ الطفل فى صغره لم يشبع حاجته للحرية والاستمتاع بها.

٤ - الإهمال:

الإهمال هو أن ينشغل المربى بشهواته وبلهوه وسهوه وربما عمله، والإعراض عمن تحت يده، وعدم الاهتمام بإصلاحهم، وعدم تربيتهم التربية الصالحة، فأهل

الإهمال هم أناس اشتغلوا بدنياهم، وانشغلوا بملاهيهم وبسهوهم وغفلتهم، ولم يهتموا بأولادهم ذكورًا وإناثًا، ولم يشعروا بما يكون فيه الأولاد وما يحتاجون إليه، فهم معرضون عنهم، فإهمالهم يترتب عليه شر عميم، ويترتب عليه تضييع حق الله وحق الأولاد، الذين هم ودائع عندكم وأمانات، فكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»، فإهمال الطفل ضياع له فى الدنيا وضياع لوالده فى الدنيا والآخره، ولا شك أنَّ هذا الإعراض يسبب ضررًا كبيرًا؛ وذلك لأنَّ هؤلاء الأولاد إذا أهملوا ولم يكن هناك من يراقبهم، ولا من يحفظهم ويتولى أمرهم، فإنّهم يدخلون فى طريق الفساد، وذلك لكثرة المفسدين، وكثرة أهل الغواية الذين يجتذبون كل من وجدوه مهملًا إلى صفهم وإلى جانبهم.

وفى هذه الأزمنة تكثر وسائل الفساد، فإذا لم يكن الراعى مراقبًا لرعيته أخذتهم هذه الوسائل، فالأولاد إذا بلغوا السادسة أو الخامسة ولم يكن آباؤهم يهتمون بهم، ولا يراقبونهم، فهناك ومن يتولى تربيتهم، فالغالب أن يتولاهم أهل الشر والفساد، حيث انشغل الآباء عنهم.

وما أخطر أن يترك الوالدين الطفل دون تشجيع على سلوك مرغوب فيه أو الاستجابة له وتركه دون محاسبته على قيامه بسلوك غير مرغوب، وقد ينتهج الوالدين هذا الأسلوب بسبب الانشغال الدائم عن الأبناء وإهمالهم المستمر لهم، فالأب يكون معظم وقته فى العمل ويعود لينام ثم يخرج ولا يأتى إلا بعد أن ينام الأولاد، والأم تنشغل بكثرة الزيارات والحفلات أو فى الهاتف أو على الإنترنت أو التلفزيون وتهمل أبناءها، أو عندما تهمل الأم تلبية حاجات الطفل من طعام وشراب وملبس وغيرها، والأبناء يفسرون ذلك على أنّه نوع من النبذ والكراهية والإهمال فتنعكس بآثارها سلبًا على نموهم النفسى، ويصاحب ذلك أحيانًا السخرية والتحقير للطفل.

ومن صور الإهمال المنتشرة فى بيوتنا والتى تغتال روح التفوق والإبداع لدى

الأطفال عندما يقدم الطفل للأم عملًا قد أنجزه وسعد به تجدها تحطمه وتنهره وتسخر من عمله ذلك، وتطلب منه عدم إزعاجها بمثل تلك الأمور التافهة، كذلك الحال عندما يحضر الطفل درجة مرتفعة ما فى أحد المواد الدراسية لا يكافأ ماديًّا ولا معنويًّا، بينما إن حصل على درجة منخفضة تجده يوبخ ويسخر منه، وهذا بلا شك يحرم الطفل من حاجته إلى الإحساس بالنجاح ومع تكرار ذلك يفقد الطفل مكانته فى الأسرة ويشعر تجاهها بالعدوانية وفقدان حبه لهم.

وعندما يكبر هذا الطفل يجد فى الجماعة التى ينتمى إليها ما ينمى هذه الحاجة ويجد مكانته فيها ويجد العطاء والحب الذى حرم منه، وهذا يفسر هروب بعض الأبناء من المنزل إلى شلة الأصدقاء ليجدوا ما يشبع حاجاتهم المفقودة هناك فى المنزل، وتكون خطورة ذلك الأسلوب المتبع وهو الإهمال أكثر ضررًا على الطفل فى سنى حياته الأولى بإهماله، وعدم إشباع حاجاته الفسيولوجية والنفسية لحاجة الطفل للآخرين وعجزه عن القيام باشباع تلك الحاجات.

ومن نتائج اتباع هذا الأسلوب فى التربية ظهور بعض الاضطرابات السلوكية لدى الطفل كالعدوان والعنف أو الاعتداء على الآخرين أو العناد أو السرقة أو إصابة الطفل بالتبلد الانفعالى وعدم الاكتراث بالأوامر والنواهى التى يصدرها الوالدين.

٥- التفرقة وعدم المساواة فى المعاملة:

التفرقة بين الأبناء وتفضيل بعضهم على بعض قد يكون سببًا للانحراف، فقد أمر الدين الوالدين بالعدالة بين الأبناء، إذ يقول رسول الله: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»، وإن رسولنا -صلى الله عليه وسلم- دعا إلى المساواة بين الأبناء حتى فى القُبلة، وعدم المساواة بين الأبناء جميعًا والتفضيل بينهم بسبب الجنس أو ترتيب المولود أو السن أو غيرها نجد بعض الأسر تفضل الأبناء الذكور على الإناث، أو تفضيل الأصغر على الأكبر، أو تفضيل ابن من الأبناء بسبب أنه متفوق أو جميل أو

ذكي وغيرها، وهذا بلاشك يؤثر على نفسيات الأبناء الآخرين وعلى شخصياتهم، فيشعرون الحقد والحسد تجاه هذا المفضل وينتج عنه شخصية أنانية يتعود الطفل أن يأخذ دون أن يعطى ويحب أن يستحوذ على كل شيء لنفسه، حتى ولو على حساب الآخرين، ويصبح لا يرى إلا ذاته فقط، والآخرين لا يهمونه ينتج عنه شخصية تعرف مالها ولا تعرف ما عليها تعرف حقوقها ولا تعرف واجباتها.

٦- التذبذب فى المعاملة:

والتذبذب فى المعاملة هى عدم استقرار المربى من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب، فيعاقب الطفل على سلوك معين مره ويثاب على نفس السلوك مرة أخرى، وذلك نلاحظه فى حياتنا اليومية من تعامل بعض الآباء والأمهات مع أبناءهم مثلًا: عندما يسب الطفل أمه أو أباه نجد الوالدين يضحكان له ويبديان سرورهما، بينما لو كان الطفل يعمل ذلك العمل أمام الضيوف فيجد أنواع العقاب النفسى والبدنى، فيكون الطفل فى حيرة من أمره، فمرة يثيبانه على السلوك ومرة يعاقبانه على نفس السلوك، وغالبًا ما يترتب على اتباع ذلك الأسلوب شخصية متقلبة مزدوجة فى التعامل مع الآخرين، وعندما يكبر هذا الطفل ويتزوج تكون معاملة زوجته متقلبة متذبذبة فنجده يعاملها برفق وحنان تارة وتارة يكون قاسٍ بدون أى مبرر لتلك التصرفات، وقد يكون فى أسرته فى غاية البخل والتدقيق فى حساباته ودائم التكشير، أما مع أصدقائه فيكون شخص آخر كريم متسامح ضاحك مبتسم، وهذا دائمًا نلحظه فى بعض الناس، ويظهر أيضًا أثر هذا التذبذب فى سلوك الأولاد حيث يسمح لهم بإتيان سلوك معين فى حين يعاقبهم مرة أخرى بما سمح لهم من تلك التصرفات والسلوكيات، فقد يأمرهم بالكذب على أحد أصدقائه عندما يتصل به ويقول لولده قل له: إنى غير موجود، فيعود هذا الطفل على الكذب وهو لا يدرى أن الطفل يسجل عليه هذا الكذب، ويعاقب الطفل بعد ذلك على الكذب، كل ذلك يؤدى بالأطفال إلى الازدواج فى الشخصية بسبب هذا التذبذب.

٧- إثارة الألم النفسى:

إثارة الألم النفسى يكون بإشعار الطفل بالذنب كلما أتى سلوكًا غير مرغوب فيه أو كلما عبر عن رغبة سيئة، وتحقير الطفل أيضًا والتقليل من شأنه والبحث عن أخطائه ونقد سلوكه، مما يفقد الطفل ثقته بنفسه فيكون مترددًا عند القيام بأى عمل خوفًا من حرمانه من رضا الكبار وحبهم، وعندما يكبر هذا الطفل يكون شخصية انسحابية منطوية غير واثق من نفسه، يوجه عدوانه لذاته، ويكون عنده عدم الشعور بالأمان، ويتوقع الأنظار دائمة موجهة إليه فيخاف كثيرًا لا يحب ذاته ويمتدح الآخرين ويفتخر بهم وبإنجازاتهم وقدراتهم، أما هو فيحطم نفسه ويزدريها.

- فعلى المربى أن يتوخى الحذر من الوقوع فى مثل هذه الأخطاء فى التربية فهى - كما سلف الذكر- تؤدى إلى وقوع الطفل فى مشكلات كثيرة قد تظل معه حتى الكبر، وقد لا تعالج، وربما ندمنا بعد فوات الأوان.

المبحث الثالث: الوسائل الإعلامية وأثرها

ما زال حديثنا موصولًا عن التربية السلبية وغياب الراعى، والآن حديثنا عن غياب الراعى عن متابعة الأولاد فى مشاهدة التلفاز ومعظم الوسائل الإلكترونية، فهى فى غاية الخطورة فى مراحل الطفولة إن تُرك لها الطفل تربيه كيف تشاء دون تقنين أو فلترة ومتابعة ما يشاهده الطفل، وهذه الوسائل الإلكترونية الحديثة التى نترك أبناءنا فى أحضانها تربيهم لنا ولا نتابعهم ولا نبحث على أثر هذه الوسائل إلا بعد فوات الأوان، فى وقت لا ينفع فيه الندم، ومن هذه الوسائل: التلفاز، والألعاب الإلكترونية، والإنترنت وغيرهم، وهناك بعض العادات والعلاقات الاجتماعية التى ربما تترك أثرًا سلبيًّا أيضًا فى شخصية الطفل، ويهملها كثيرًا من المربين ولا يعطونها أهمية وهى فى غاية الخطورة إن غاب عنها الراعى؛ مثل: مجموعة الأصدقاء، والدروس الخصوصية التى انتشرت فى كل بيوتنا انتشار النار فى الهشيم، وإليكم بعض التفصيل عن أثر هذه الوسائل فى تربية الطفل:

أ - الوسائل الإلكترونية الحديثة وأثرها:

١ - التليفزيون:

إنَّ الطفل أسبق من غيره فى التعرف وحب الاستطلاع؛ وذلك لرغبته فى أن يكوّن لنفسه صورة مختلفة عن البيئة التى يعيش بداخلها، وللإعلام دور كبير فى تكوين شخصية الطفل والتأثير عليه سلبًا أو إيجابًا، ولكن الضرر الناتج عن الإعلام على الطفل كبير جدًّا، وتزداد مساحة ذلك الضرر بازدياد التوسع الإعلامى

الرهيب وتنوع البرامج الخاصة للأطفال، وقدرة أصحاب تلك البرامج فى الخروج بأعمال إبداعية تسحر لبّ الأطفال، وتجذب أفئدتهم وتشدهم للمشاهدة ساعات طويلة بدون ملل أو انقطاع، وتتنوع أضرار شاشة التلفاز وتبعاته السلبية وآثاره الهدامة على أطفالنا بتنوع اهتمامات الأطفال ووضعهم الأسرى والاجتماعى والصحى، ويعد التليفزيون من أخطر وسائل الاسترخاء، بل والتخدير فى العصر الحديث، فخطر التليفزيون أعظم من أن يوصف، لذلك لما وصفه أحد الباحثين بأنه: (الأب الثالث) للطفل، رد عليه آخر قائلًا: (لا .. بل هو الأب الأول).

يقول علماء الاجتماع: إنه يجب على التليفزيون أن يعمل على تدعيم ثقافة الشباب بدلًا من هدمها فى ظل ما وصلت إليه من مستوى أخلاقى منحدر، ويصل الشباب إلى التقليد الأعمى باعتبار أنه يعرض الموضة..

ويقول علماء النفس: إنَّ التأثير النفسى من مشاهدة المناظر الخليعة المبتذلة يكون سلبيًّا جدًّا خصوصًا لدى الشباب غير المتزوجين سواء كانوا بنين أو بنات؛ لأنَّ مثل المناظر الخليعة تعمل للإغواء الجنسى بطريقة علنية؛ لأن المشاهد عندما يرى مشاهد عارية لمطرب أو مطربة تحدث له حالة لا إرادية من الرغبة الجنسية، وبصفة خاصة الأغانى الإباحية والتى يجب على المسئولين أن يمتنعوا عن تقديمها تمامًا؛ وذلك حرصًا على سلامة شبابنا والذين هم أصل المستقبل لا سيما الأطفال والمراهقين.

ومن الأضرار الخطيرة التى يتعرض لها الطفل المسلم من جراء المكث أمام التليفزيون ما يلى:

أولاً: ضياع الوقت وإهداره فيما لا ينفع: يعرض على شاشة التليفزيون منوعات كثيرة من الأفلام الكرتونية الكثيرة، والمسابقات والألعاب والمغامرات وقصص الخيال والمسلسلات وغيرها، مما يجعل الطفل يمكث الساعات الطوال أما التليفزيون لا يتحرك، وقد أخذت شاشة التلفاز فعلًا من أوقات أطفالنا الشيء الكثير، وأصبحوا أسرى لما يبث من مشاهد وبرامج على تلك الشاشة الجذابة،

وصار ذلك الوقت مما يحسب سلبًا على صحتهم وفكرهم وحياتهم بشكل عام، ويشترك المربى معهم فى هذه الجريمة، وإيقاع الظلم عليهم وعلى أوقاتهم الثمينة، خاصة ونحن نعلم قيمة الوقت، وحرص شريعتنا على الاهتمام به، وتربية الطفل وتوعيته أفضل من إصلاح إنسان فاسد.

ثانيًا: حرمان الطفل من اللعب: إنَّ من أبرز الآثار السلبية للمشاهدة التلفازية فى التكوين النفسى والسلوكى للأطفال، هى حرمان الطفل من فترات اللعب حيث تجور ساعات المشاهدة على وقت لعب الأطفال، الذى هو الشغل الشاغل للطفولة، والذى يعتبر أهم أداة لنقل الكثير من المعارف، والوسيلة التى يستطيع بها أن يمارس ويطور سلوكيات ضرورية لنجاحه ككائن اجتماعى، ففى أثناء اللعب يكافح الطفل ليتغلب على المشكلات والمصاعب التى تواجهه ضمن محيطة، لقد كان يظن أنه يمتلك القدرة على التحكم بمحيطه لكنه يتعلم سريعًا أن عددًا كثيرًا من الأشياء لا يمكن تحريكها (كالأشجار) ويتعلم أيضًا أنَّ بعض الأعمال محظورة (كإيذاء الحيوانات) وأن بعض الأشياء تسبب الألم (كلمس النار)، كما أنَّ اللعب له دورًا مهمًا فى نمو الطفل الانفعالى، فهو يتعلم مع الوقت كيف يسيطر على سلوكه المتهور العدوانى النزاع إلى الاستبداد عندما تسبب هجماته بكاء زملائه فى اللعب أو تراجعهم أو تصديهم له ومهاجمته.

لذلك أدى غياب اللعب نتيجة طول فترات الجلوس أمام التلفاز إلى نكسة فى نمو قدرات الأطفال، وأصبح طفل التلفاز يتميز بسلبية متزايدة وقدرة أقل على تحمل الإحباطات الصغيرة وتدنٍّ فى المثابرة، فلا يتحمل الانهماك فى عمل يبدو عليه شىء من الصعوبة فى البداية، بل إنه فى حاجة دائمة إلى الإثارة والتشويق، فنجده يحجم عن تحمل البداية البطيئة على أمل الفوز بمكاسب لاحقة.

- ثالثًا: صعوبة تعامله مع التجارب والأحداث التى تواجهه فى حياته، وينتج عن ذلك أيضًا عدم قدرته للمواجهة مع الآخرين، وانعدام قدرته على حل

المشكلات الحياتية التى تواجهه بين الفينة والأخرى، وذلك كله بسبب ركونه إلى المشاهدات التليفزيونية والتى بعثت فيه الأمراض المتعددة والمختلفة الصحية منها والنفسية والاجتماعية وغيرها.

- رابعًا: متابعة القنوات الانحلالية تؤدى إلى ضياع الدين، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، ووأد الفضيلة، وقتل الحياء، إضافة إلى ظلمة القلب، وطمس نوره.

- خامسًا: ومن الأضرار والمخاطر التربوية والأخلاقية تقليد ممارسة العلاقة الزوجية بين الأطفال وإثارة الغرائز لديه مبكرًا، ولقد شوهد ذلك بعض الأطفال يفعلون ذلك مع أخواتهم ولم يتجاوزوا الثلاث سنوات، وعندما سئل الطفل قال: (كما فى الفيلم) وإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذا سببه مما يعرض فى أفلام الرسوم المتحركة من قصص العشق والغرام ودفاع البطل عن حبيبته فى أفلام (الأكشن)، واللباس الفاضح وصور الضم والقبلات بين عناصر الفيلم ذكورًا وإناثًا، وكل تلك الصور والمشاهد يتشبع بها عقل الطفل، ويبدأ فى تقليد ما يرى مع إخوانه وأخواته فى المنزل أو فى لباسه وتصرفاته ومعاملاته، وهذا ينشئ خطرًا عظيمًا على ناشئة الأمة، وذلك بعنايتهم بكل همٍّ سافل أو أمر منحط حتى لا تجد من بينهم (إلا من رحم ربى) من يسمو بنظرته أو يرقى باهتمامه.

- سادسًا: زعزعة عقيدة الطفل فى الله، فالرسوم المتحركة لها دور عظيم فى زعزعة عقيدة الطفل فى ربه، مثل ما يحدث مثلًا فى برنامج (ميكى ماوس)، هذا الفأر الذى يعيش فى الفضاء، ويكون له تأثير واضح على البراكين والأمطار، فيستطيع أن يوقف البركان وينزل المطر ويوقف الرياح، ويساعد الآخرين، لماذا يجعل هذا الفأر فى السماء؟ ولماذا يصور على أن له قوة فى أن يتحكم بالظواهر الأرضية؟ إنها تلميحات خبيثة، أهدافها واضحة للجميع، واشتمال بعض الأفلام الكرتونية على الكثير من الأخطاء العقدية الخطيرة والتى قد يعتاد عليها الطفل ويعتقد صحتها، وهذا كثير جدًّا فيها، كظاهرة الانحناء للغير، حتى تكون الهيئة أقرب ما تكون للسجود والركوع، ومن ذلك اشتمالها على السحر فربما يصورون

الساحر على أنه رجل - أو امرأة- ملىء بالطيبة ومحبة الخير للناس ويساعد المظلومين، كما فى برنامج سندريلا، والتى تصور فيها امرأة ساحرة طيبة تساعد سندريلا على حضور حفلة الملك والاستمتاع بالرقص وغير ذلك، وقد وبلغ تأثير مثل هذه المشاهد إلى أن أطفالنا يرددون الكثير من عباراتهم بشكل خطير نخاف فيه أن يطلب الأبناء من الآباء تعلم السحر.

- سابعًا: نشر التبرج والسفور وتنبيه الطفل إلى بعض الأمور المخلة بالأخلاق، وهذا كثير جدًّا فى الرسوم المتحركة التى يترك لها الطفل بالساعات الطوال، ويمكن القول: إنه ليس هناك برنامج كرتونى يعرض الآن يخلو من عرى أو غزل أو وملاحقة الفتيات، ولا عجب فهذا ما يحتويه مجتمعهم، وهذا ما يريدوه من العالم، مشاهد تحتوى على صدور بادية وأفخاذ عارية وغزل بين الجنسين وتعبير عن المحبة فى جو رومانسى عجيب وملاحقة الفتيات، وتقديم الهدايا لهن لكسب مودتهن، وترك الأشغال والأعمال بمجرد ما يرى الفتاة، إن عرض مثل تلك المشاهد دون رقيب يجعل الطفل يعتاد مثل هذه الصور والمظاهر، بل قد تربى الطفل على تلك الأعمال المشينة والمنافية لديننا وأخلاقنا.

- ثامنًا: نشر الرعب والخوف بل يتجاوز الأمر إلى فتح آفاق كبيرة للطفل فى عالم الجريمة، ذكر أن والدى طفل أرادا الذهاب لأمر ما، وترك ابنهما فى البيت وحده فغضب الطفل، فلما ركبا والدا الطفل السيارة وجدا ضوء الإنذار مضىء كدلالة على خلل معين، فلما تكشف الوضع وجدا أن سلكًا قد قطع وأثر القطع يبين أنه بسكين لا من نفسه، فلما استخبرا الأمر اعترف الابن بأنه هو من فعل هذا، وكان يريد أن يقطع سلك فرامل السيارة انتقامًا منهما؛ لأنهما سيتركانه وحده، ولما سُئل كيف حصل على هذه الطريقة؟ أخبرهما أنّها من إحدى الرسوم المتحركة.

ويصاب الأطفال بزيادة معدل الخوف عندهم بصورة ملحوظة؛ وذلك لزيادة المشاهد المرعبة على شاشة التلفاز مثل: (الدماء - الجرحى - القتلى - الأسلحة -

الحيوانات المفترسة - الأشباح- الحروب وغيرها الكثير من المشاهد المرعبة فى الأفلام والمسلسلات وأفلام الكرتون) وكل ذلك يولد لدى الطفل شعورًا بالخوف المتكرر والدائم أحيانًا وينزع منه الأمان الذى يستحق أن يتمتع به، بل هو حق واضح على الوالدين خاصة والمجتمع بشكل عام أن يمنحوه أطفالهم، ومكوث الطفل أمام هذه الشاشة باستمرار يجعله يُؤمن بطبيعتها، وإنها حتمية الحصول، فتؤثر على مسيرته المستقبلية، وشخصيته القادمة، الأمر الذى يصاب من خلال ذلك الشعور بالازدواجية فى الشخصية والعقد النفسية المتكررة، وهى تنمى فيهم أيضًا الصفات السلبية كالحقد والكراهية وحب الانتقام، بل ربما يخاف بعض الأطفال من الظلام ويبكون وهم يتصورون أنَّ الشبح الذى رأوه سوف يظهر لهم، بل ربما يحلمون به عند نومهم ويصحون يبكون وعند سؤالهم يقولون: الشبح أو العفريت، مما يسيطر على خيالهم ويخيفهم، مما رأوه فى التليفزيون من تلك المشاهد.

- تاسعًا: نشوء الأمراض النفسية والجسدية: إنَّ مكوث الطفل أمام شاشة التليفزيون لأوقات طويلة يعرضه لأمراض نفسية وجسدية متعددة، وتختلف هذه الأمراض باختلاف مدة مكوث الطفل أمام الشاشة وقربه وبعده منها، وتأثره لما يعرض فيها من عدمه ومن تلك الأمراض: حصول القلق والاكتئاب والشيخوخة الكبيرة، والتى تنتج من التعرض للموجات الكهرومغناطيسية المنبثقة من شاشة التلفاز، إضافة إلى ما يحصل من أضرار جسمية كزيادة الوزن وترهل العضلات وآلام المفاصل والظهر.

- عاشرًا: إفساد اللغة العربية لدى الأطفال: إن ما يعرض من صور ومشاهد على شاشة التلفاز يصحب دائمًا بلغة هشة هزيلة عامية مبتذلة؛ إما أن تكون لهجة بلد معين ليست حتى بلهجة بلد ذلك الطفل، أو عربية مكسورة فى الأداء والقول، ومن المؤسف أن تجد اهتمامات منتجى تلك الأفلام باللغات المحلية والدارجة على ألسن الناس، وتغافلهم عن اللغة العربية الفصحى، وهذا مما يؤدى أيضًا إلى انحراف لسان الطفل إضافة إلى انحراف فكره وتوجهه واهتماماته.

وأخيرًا فإنه علينا أن نعى خطورة هذه الشاشة الجذابة على عقول أطفالنا وأوقاتهم واهتماماتهم، وأن نقدر حاجتهم لها بقدر ما يشبع رغباتهم فى المشاهدة، وألا نستهين بما تقدمه لهم من برامج وعروض مختلفة، ومرة أخرى أقول: إنّه على الوالدين أمانة عظمى فى السعى بأولادهم إلى أمكنة الأمان وحمايتهم من كل ما يؤثر عليهم سلبًا فى حياتهم وتربيتهم بأن يكونوا عدة لدينهم ومجتمعاتهم.

٢- الألعاب الإلكترونية:

إن التقنية الحديثة تخرج كل يوم علينا بأشياء جديدة، فينقسم الناس أمام تلك المخرجات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهو الذى يأخذ كل ما تفرزه تلك التقنيات دون تأمل أو روية بل ويلهث خلفها جاهدًا أن يقتنى لنفسه وبيته وولده كل حديث منها.

القسم الثانى: وهو الذى يرفض تلك التقنيات بالكلية فيعيش فى عزلة عن العالم والتطورات الحادثة فيه.

القسم الثالث: وهو الذى يتعامل مع تلك المخرجات بروية وتأمل فيأخذ منها إيجابياتها، ويذر سلبياتها وهذا القسم هو من أنار الله بصيرته بنور الإيمان والحكمة، لكن تظل هناك مخرجات لا تعرف أضرارها ولا سلبياتها إلا بعد وقوع ضحايا لها، ومنها الألعاب الإلكترونية، أو ألعاب الفيديو أو ما يسمى (بلاى ستيشن)، أو (إكس بوكس)، وهى أجهزة ألعاب منتشرة فى كثير من بيوت المسلمين، ولمن لا يعرفها هى أجهزة طرحت فى الأسواق منذ أكثر من ثلاثين سنة بدأت من «الأتارى» الأسود حتى وصلت إلى الـ «بلاى ستايشن» والـ «إكس بوكس»، وبعضها على أجهزة الكمبيوتر العادية ...

فلربما يظن البعض أنّها مسلية تلهى أولادهم عنهم لبعض الوقت لكى ينتهوا من أعمالهم فى المنزل، ولكنهم واهمون فلها أضرار وأخطار جسيمة وخطيرة، فلو تأملنا مثلًا بعض الألعاب لعرفنا مكمن الخطورة فيها، فهناك مثلًا لعبة من الألعاب جميع

أبطالها من الفتيات اليابانيات المقاتلات، تبدأ القصة بنزول ملك من السماء -والملك عبارة عن فتاة جميلة- تقوم بمساعدتهن فى قتال أعدائهن؛ ثم تقوم بفعل أفعال فاضحة مع بطلة اللعبة، فانظروا وتأملوا هداكم الله.

ولعبة أخرى تدعو إلى تطهير المدن من الملتحين والمشايخ وعلماء الدين حيث تجبر لاعبها على فعل ذلك للاستمرار فى التقدم من مرحلة إلى أخرى وتحقيق الفوز، فيقوم برمى القذائف على المساجد وبعثرة المصاحف وتمزيقها، يفعل كل هذا وصوت الأذان يصدح فى المساجد وأنت تقصفها، ويقتل الناس وهم يكبرون ويهللون، حتى تتلاشى أصواتهم وإذا أراد أن يسجل نقاطًا أكثر عليه بتدمير مساجد أكثر ، وحرق مصاحف أكثر، وقتل مسلمين أكثر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفى لعبة أخرى يقود الطفل عصابة للمافيا وتطارده الشرطة، ويزور المراقص ويجمع الأموال من الفتيات، ويزور الشواطئ الإباحية، ويعيش فى بيئة التفاعل الافتراضى كأن يدخل الطفل غرفة افتراضية وتدخل عليه امرأة للرقص أمامه بلبس خليع جدًّا.

ويقول أحد الآباء عن لعبة من لعب الأطفال كان يلعبها طفله، وأصر على شرائها بعد أن شاهدها عند أحد جيرانه، يقول جلست معه مرة من المرات على هذه اللعبة وكان فيها مرشدًا يرشد اللاعب إلى كيفية اللعبة، بحيث يجتاز مراحل اللعبة التسعة، وهذا المرشد يحذره من الخطر الداهم، فمرة يوجد طيور ظلام تختفى خلف الحواجز لتطلق النار، ومرة هناك أفيال، وفى مرات أخرى هناك الشيطان الأكبر الذى سيوجد فى نهاية اللعبة، يقول كان هذا المرشد الذى يقف للاعب ناصحًا ومعلمًا يلبس لباس القساوسة، وفوق صدره تلمع شارة الصليب، وكانت ذقنه الغليظة لا تتفق مع صوته الودود المسالم، ويتشح دائمًا بالبياض، وهو لا يملك أدنى قوة لخوض معركة مع الأعداء، لكنه يمتلك الحكمة التى يقدمها للاعب على طبق من ذهب، يقول: وقد تعلق قلب ابنى به، وأخذ يسألنى ببراءة الأطفال عمن يكون هذا ولماذا يلبس هكذا؟، وتوالت أسئلة الطفل وهو الذى عودته على أن أجيبه،

ويعتقد بأننى أمتلك مفتاح الأجوبة عن كل شيء، لكننى لم أجد جوابًا شافيًا أعطيه له عن تلك الأسئلة التى فاجأتنى؛ ولم أقنعه بترك اللعبة إلا بعد جهد جهيد.

وتقول إحدى الأمهات: إنّها شاهدت ابنها البالغ من العمر ثلاثة عشر عامًا يلعب بأحد ألعاب الفيديو، ولفت نظرها مشهد بل صدمها هذا المشهد وحاول ابنها أن يقنعها أنّ اللعبة بريئة وأنّها تدور حول المصارعة فقط، ولكنها أخذت منه اللعبة وقرأت ما هو موجود على الغطاء فوجدته كالتالى: (تتمتع فتيات الديفاس بنشاط جنسى قوى للغاية أكثر من أى وقت مضى خصوصًا عندما يرتدين حمالات للصدر من اللون نفسه للقطعة الداخلية الأخرى، وذلك للقضاء على العدو الحقيقى وطرده من أروقة الجنة).

هذه بعض المشاهد من تلك الألعاب المليئة بالأفكار الهدامة والصواعق المحرقة التى تدخل وتثبت فى عقول الأطفال دون أن يشعرون، فمن أهم الآثار المترتبة على هذه الألعاب ومن أبرز سلبياتها ما يلى:

- أولًا: ضياع الوقت الذى هو كل شيء للعبد المسلم فى هذه الحياة، ومن ضيع وقته فقد ضيع نفسه، وكل مسلم مسئول عن هذا الوقت الذى أضاعه غدًا بين يدى رب العالمين؛ فلو لم نعلمهم أهمية الوقت لتربوا ونشئوا على ذلك من عدم إكتراثهم بتضييع الوقت، ولسئل الآباء عنهم لما لم تعرفوهم بأهمية الوقت، فقد ذكر أحد الأولاد الذين يلعبون هذه الألعاب أنه جلس مع رفيق له على مباريات فى كرة القدم فيها من الساعة العاشرة مساءً إلى الثامنة صباحًا من اليوم التالى، ولو لم يكن فى ذلك إلا تضييع الثلث الأخير من الليل لكفى به من خسارة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ».

- ثانيًا: ضعف الإيمان؛ لأنه فى الغالب ما تأخذ تلك الألعاب من المدمن عليها أوقاتًا طويلة، قد تكون على حساب أوقات قراءة القرآن وأوقات الأذكار والأوراد

وأوقات قيام الليل بل قد تكون على حساب الصلوات المفروضة، حيث تضيع من ذلك المدمن عليها دون أن يشعر، وهى تنشر أيضًا ثقافة الفجور وتغتال براءة الأطفال.

- ثالثًا: ضعف ثقافة الطفل المقبل على تلك الألعاب، وانخفاض مستواه الدراسى حيث إنك تجده يسعى لإنهاء واجباته المدرسية بسرعة ليجد وقتًا للعب ولا يطلع على غير المقررات المدرسية؛ لأن وقته وقلبه وعقله مشغول باللعب بها.

- رابعًا: ضعف السلوك الاجتماعى لدى الطفل المقبل على تلك الألعاب حيث تجده معظم وقته أمام تلك الألعاب منطوٍ على نفسه فإذا خرج للمجتمع لا يعرف كيف يتعامل معه؛ لأنه لم يحتك بالمجتمع ليتعلم كيفية السلوك الاجتماعى، وقد أظهرت دراسة (دانمركية) أنَّ ألعاب الكمبيوتر لها أضرار كبيرة على عقلية الطفل، فقد يتعرض الطفل إلى إعاقة عقلية واجتماعية إذا أصبح مدمنًا على ألعاب الكمبيوتر وما شابهها.

- خامسًا: تؤثر هذه الألعاب سلبًا على صحة الأطفال، إذ يصاب الطفل بضعف النظر نتيجة تعرضه لمجالات الأشعة الكهرومغناطيسية قصيرة التردد المنبعثة من الشاشات التى يجلس أمامها ساعات طويلة فى أثناء ممارسته اللعب، ويضعف البصر بعد فترة لكثرة نظره إلى الشاشة التى تخرج منها هذه الإشعاعات الضارة بالعين.

- سادسًا: ضعف الصحة وخمول الجسد؛ لأنَّ الجسد يظل فترة طويلة بلا حراك فتضمر العضلات ويصيبها الخمول، وكذلك من أضرارها الإصابة بسوء التغذية، فالطفل لا يشارك أسرته فى وجبات الغذاء والعشاء فيتعود الأكل غير الصحى فى أوقات غير مناسبة للجسم.

- سابعًا: ضعف تربية هؤلاء الأطفال؛ وذلك نتيجة لانشغال الأبناء طوال الوقت بتلك الألعاب، فمتى يجلسون مع آبائهم وأمهاتهم ليتحقق الدفء الأسرى

وتقوى رابطة الأخوة والمحبة؟ متى يجدون الوقت الذى تنتقل فيه خبرة الآباء والأمهات إلى أولادهم؟ متى يعرفون أخطاءهم فيوجهوهم ويحسنون تربيتهم؟

- ثامنًا: غرس العدوانية فى نفوس الأولاد، والإصابة بالأمراض النفسية.

- تاسعًا: الإصابة بنوبات الصرع المتكرر، وتؤكد إحدى الدراسات على أنَّ الأطفال المشغوفين بهذه اللعبة يصابون بتشنجات عصبية، تدل على توغل سمة العنف والتوتر الشديد فى أوصالهم ودمائهم؛ حتى ربما يصل الأمر إلى أمراض الصرع الدماغى، يقول أحد المتخصصين فى تربية الأطفال: ماذا تتوقعون من طفل قابع فى إحدى زوايا الغرفة وعيناه مشدودتان نحو شاشة صغيرة، تعج ببريق متنوع من الألوان البراقة المتحركة، ويداه تمسكان بإحكام على جهاز صغير ترتجف أصابعه مع كل رجفة من رجفاته، وتتحرك بعصبية على أزرار بألوان وأحجام مختلفة كلما سكن، وآذان صاغية لأصوات وصرخات وطرقات إلكترونية تخفت حينًا وتعلو أحيانًا أخرى، فلا يرى ولا يسمع ولا يعى مما حوله إلا هى.

٣- الإنترنت:

إن كل شىء من هذه المخترعات الحديثة له عيوب ومميزات، فللإنترنت مميزات كثيرة ويفيدنا كثيرًا ولسنا هنا بصدد الحديث عن هذ الفوائد، ولكننا هنا بصدد الحديث عن الأثر السلبى للإنترنت فى تربية الأبناء.

ولكن نذكر هنا بعض فوائده على سبيل الإيجاز؛ ومنها: الدعوة إلى الإسلام وبيان محاسنه، والرد على الشبهات التى تثار حول الإسلام ودحضها، ومحاربة البدع والتصدى لدعاتها، ونشر العلم النافع والأخلاق الحسنة، ومعرفة العلوم الكونية والأخذ بأسباب التقدم والرقى، والاستفادة منه فى الأبحاث العلمية، والتعرف على أحدث التقارير والدراسات والإحصاءات فى مختلف المجالات، والتعرف على أحوال المسلمين فى العالم ومتابعة أخبارهم، هذا باختصار بعض فوائد الإنترنت العديدة التى لا تحصى.

ولكننا هنا بصدد الحديث عن أثره فى التربية السلبية على الأطفال وأثره فى أن نترك أبناءنا له من دون رقيب، فقد تختلف إلى البنات البريئة بعض سفاحين الأعراض فتغتال براءتهم من خلال الدخول إلى غرف الشات والتعرف عليهن بحجة أنه يريد الزواج منها ويكون هذا الشيطان الإنسى يرتب لها فخًّا، فيستطيع أن يأخذ منها صورة ويسجل لها بعض المحادثات أو غير ذلك؛ ليهددها بها بعد ذلك، ومواقع الاستشارات العاطفية تعج بكثير من هذه المشكلات، ماذا أفعل؟ بعد أن تقع المشكلة، فهذه من أهم الأخطار التى تتعرض لها البنات، ويتعرض الشباب لمثل ذلك من البنات التى تعودت بل وأدمنت معاكسة الشباب وتجد فى ذلك اللذة والهواية، ويحدث ذلك منها لأنه قد غاب عنها رقيبها وترك لها الحبل على الغارب، فسول لها الشيطان فعل هذه الأفعال الشيطانية، ولربما يدخل الشباب والفتيات على المواقع الإباحية التى يمتلئ بها الإنترنت، والتى تقتل براءة الأطفال فيهم، وتقتل فيهم الحياء والخجل.

فلا بد للمربى الناجح أن يتنبه لمثل هذه الأشياء؛ لأنَّ شياطين الإنس والجن لم يسلم منهم أحد، فلربما أوقعوا ابنتك أو ولدك فى شراكهم الملعونة والخبيثة.

ولم يسلم الكبار من ذلك أيضًا فهناك قصة واقعية قد حدثت لأسرة مترابطة يسود بينها الحب والوئام، وطلبت الزوجة من زوجها أن يوصل لهم الإنترنت فى المنزل نظرًا لوجود أوقات فراغ كثير لديها تريد أن تشغله بشىء نافع، ولكنها لم تسلم من شراك الأبالسة، فدخلت مرة على الشات فتعرفت على شاب وكلمته، مرة ترفض ومرة يوسوس لها الشيطان، حتى أوقعها فى شراك حب هذا الشاب، حتى كلمته على الهاتف، ثم انقلبت حياتها مع زوجها، وأصبحت تعامله معاملة سيئة، وأجبرته هذه المعاملة على أن يطلقها بتحريض من هذا الشاب، وعندما ذهبت إليه قال لها: من خانت مرة من الممكن أن تخون ألف مرة ورفض الزواج منها ودمرت بيتها بيدها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فانتبه أيها المربى، لهذا الخطر.

- ومن سلبياته أيضًا: إضاعة الأوقات، والتعرف على صحبة السوء، وزعزعة العقائد والتشكيك فيها، ونشر الكفر والإلحاد، والوقوع فى شراك التنصير، وإهمال الصلاة وضعف الاهتمام بها، والغرق فى أوحال الدعارة والفساد، وإضاعة مستوى التعليم، والتجسس على الأسرار الشخصية، وانهيار الحياة الزوجية.

ب- الوقاية العائلية من الوسائل الإعلامية:

هناك دور يسترعى الانتباه فى كثير من المنازل، حماية العائلة من تأثير الإعلام السلبى:

فما الذى يحتاج إليه كل من الأم والأب للقيام بهذا الدور؟

- العزم على استغلال الوقت لفلترة ما يرد للمنزل عبر وسائل الإعلام المتعددة.

- فهم وإدراك القيم والعادات التى يريدان غرسها فى أبنائهما.

- الرغبة الملحة بحماية القلوب والعقول الصغيرة من الصور والأصوات التى تهدد هذه القيم.

هذه المهمة قد تبدو مهلكة ومرهقة للوهلة الأولى إلا أننا حين نتفكر فى النتائج التى سنصل إليها بإذن الله تعالى، فإنَّ هذه الصعوبات لا تلبث أن تزول، خصوصًا إذا ما نظرنا للجانب المشرق من المسألة وهو الاستمتاع المتواصل مع الأسرة وتوطيد علاقتنا بأبنائنا.

فاتساع البهجة الذى تضفيه وسائل الإعلام يربك عمل العقل ويعوقه من أداء مهامه على الوجه الأفضل، بل ربما قاده إلى التخبط والابحار نحو عمق المحيط عوضًا عن الاتجاه للمرسى.

أغلب أبنائنا إن لم يكونوا جميعهم يشاهدون التلفاز وحدهم بعيدًا عن مرافقة الآباء لهم، وقد يشاهدونه بغرفهم الخاصة، بل وصل الحد لمشاهدة البعض منهم للتلفاز فى السيارة واضعًا سماعات الرأس ليستمر فى خصوصيته حتى فى تواجده مع أهله.

بالنسبة لنا كأمة مسلمة نحمل أمانة فى أعناقنا تجاه هذا الجيل، فإنَّ عدم العلم بما يراه ويسمعه أبناؤنا عبر وسائل الإعلام المتنوعة والمفتوحة أمر لا خيار فيه.

سياسة المنع والرفض لم تكن مجدية ويجب التخلى عنها، فمن الأخطاء التى نرتكبها فى حق أنفسنا وفى حق أولادنا أننا لا نتعلم أبدًا من أخطائنا السابقة ونظل نكررها، ولأننا نعلم أن أمرًا ما قد نجح فيما مضى نعيد فعله ونكرره مرارًا طمعًا فى أن ينجح فى كل مرة، ولا نعلم أننا نعيد الوقوع مجددًا ضمن نفس قطر الدائرة التى وقعنا بها سابقًا.

إننا بحاجة لزرع الرقابة الداخلية فيهم وجعلهم هم من يقررون ماذا يرون ومتى وكيف ومع من يرونه؟، ومتى يتوقفون عن المشاهدة أو يرفضونها؟.

إنَّ هذا الأمر يمكن الوصول إليه من خلال متابعة مشوار التربية معهم منذ نعومة أظفارهم، وتعريفهم بالحلال والحرام تعريفًا جيدًا، والحرص على تنبيههم للمخالفات التى قد يرونها فى وسائل الإعلام، ومشاهدتها معهم، وتحديد أوقات لذلك ومن ثم مراجعة ما يشاهدونه معهم وسؤالهم عنه، وطلب تعليقهم عليه، وكذلك جعلهم يسجلون ملاحظاتهم أيضًا، ومن ثم يعطوننا رأيهم فيه، ولنقل له مثلًا:

لتكن أنت أنا وأنا أنت، فهل ستسمح لى أن أشاهد هذا البرنامج إن كنت أنا ابنك وأنت والدي؟

الآن تعالوا معى فى هذا البرنامج الجديد الذى من خلاله سنرى كيف يمكننا أن نخلق حارسًا أمنيًّا لبيوتنا من الغزو الإعلامى.

أ- التلفاز:

مشاهدة التلفاز سجلت ولا تزال تسجل نموًّا طرديًّا منذ اختراعه فى أواخر العشرينات، الأطفال فى عالمنا يقضون ما يترواح بين ٥ - ٩ ساعات يوميًّا فى استخدام وسائل الإعلام، حصة الأكبر منها للتلفاز.

وقد أثبتت الدارسات الاجتماعية أنَّ المدوامة على مشاهدة التلفاز من أبرز مسببات العنف والسلوكيات غير المهذبة، الأداء الاجتماعى الفقير والمتدنى، العلاقات الجنسية المبكرة، السمنة وغيرها من السلوكيات غير الحميدة وصولًا لبعض الأمراض النفسية لدى الأطفال والمراهقين والتى تستمر معهم حتى بعد البلوغ..

السؤال الذى قد يتبادر إلى الذهن الآن هو:

كيف يمكن أن أتجاوب مع هذه الدراسات؟

معظم الآباء يقع فى دائرة ما يين محاربة التلفاز والتخلص منه بشكل نهائى أو استئجاره كجليس دائم لأطفاله.

البعض الآخر يجيد التعامل مع هذا الضيف ويبقيه فى المكان المناسب، ويسمح له بالتواجد فى الوقت المناسب أيضًا.

- **جدول المشاهدة:**

ضع جدولًا أسبوعيًّا لكل أفراد الأسرة فهذا يمنحك الفرصة لتقديم عروض وخيارات أفضل عوضًا عن قول لا دائمًا للسيئة منها ولوضع ضوابط للوقت بطريقة إيجابية.

وليشارك الجميع فى وضع هذا الجدول ولنحرص على مراجعته بصفة دورية وجعله يتسم ببعض المرونة.

- وضع حدود مكانية لمشاهدة التلفاز:

ضع فى اعتبارك النقاط التالية:

- إخراج جهاز التلفاز من غرف الأطفال.
- أغلق الجهاز فى أثناء الوجبات.

- عدم استخدام صورة أو صوت التلفاز كخلفية للجلسات العائلية، واستخدام أى من المؤثرات الصوتية الإسلامية.

- شاهدوا التلفاز معًا: تحدث عن أى مساوئ العرض الذى تشاهده وقت حدوثها، أو سجل ملاحظاتك وناقشها فيما بعد.

- سجل النقاط والسلوكيات الإيجابية وركز عليها.

- حدد السلوكيات والألفاظ غير المقبولة وتحدث معهم عن السلوكيات والألفاظ المثلى أو الأمثل.

- احرص على الاطلاع على الجديد للتأكد مما سيراه أطفالك خلاله.

- خطط لليالٍ عائلية أسبوعية:

أطفئ التلفاز وقم بأى نشاط مشترك مع كل أفراد الأسرة أو حدد يومًا فى الأسبوع لا تشغل فيه التلفاز مطلقًا وليلتزم الجميع بهذا اليوم.

- استفد من عملية التسجيل وإعادة العرض:

بعض البرامج رائعة ولكن يتخللها بعض المشاهد التى لا نرغب فى أن يراها أطفالنا، أو ربما قد يكون توقيتها غير متلائمًا مع جدول الأطفال اليومى، فتسجيل هذه البرامج ومن ثم إزالة المشاهد غير اللائقة منها وإعادة عرضها على الأطفال يساهم فى زرع الفائدة لهم ويلغى سلطة المحطات الفضائية ويجعلك أنت المسيطر على الوضع.

- كن قدوة حسنة:

- لا تستأثر بجهاز تبديل القنوات فى حضرة أولادك بل أشركهم فى عملية الاختيار.

- راقب سلوكياتك جيدًا واحرص أن تكون مطابقة لما تحرص على تعليمه وتوصيله لأطفالك، فما تفعله أعلى صوتًا بكثير مما تقوله.

ب- الفيديو:

- بالإمكان مراجعة العروض التى تسبق طرح الأفلام للتعرف عليها وعلى محتوياتها قبل شرائها أو استئجارها.

- بعض الأفلام تكون أكثر من جيدة فى محتواها العام إلا أنها تحمل بين طياتها مشاهدًا أو عروضًا غير لائقة، عندما تتفاجأ بمثل هذا المشهد استخدم زر التقديم السريع.

- أطفالك سيشاهدون الشريط لعدة مرات وحدهم فاحرص أنك تعرف جيدًا ما سيشاهدونه.

- احرص على الأشرطة التى تنتج عن طريق مؤسسات إعلامية لها دورها فى رعاية الطفولة والآداب العامة.

- احذر كل الحذر من أشرطة (ديزنى، ووارنر) وغيرها من الأفلام الأجنبية والمعربة ففيها سم زعاف، ولا يهون شريط شديد وتمام ففيه دعوة غير مباشرة لتعليم بذاءة الألفاظ والسلوك غير الحميد وهو نسخة عن (توم وجيرى)، ويعلّم الأطفال مبدأ أن الشرير والمشاكس ينتصر دومًا.

المبحث الرابع: بعض العادات والعلاقات الاجتماعية التى تترك أثرًا سلبيًّا فى شخصية الطفل

١ - الدروس الخصوصية والتربية السلبية:

إنَّ الدروس الخصوصية لربما تكون مطلبًا ضروريًّا لبعض الأسرة التى يعانى أولادها التأخر الدراسى، وبعض الأسر تهتم بها؛ فقط لأنَّ معها أموال تستطيع أن تعطى أولادها هذه الدروس، ولكن إذا غاب عنها الراعى أو المربى ولم يكن متابعًا لها مراعيًّا القواعد والأطر الشرعية لها حدثت المشكلات من جرائها ومن آثارها السلبية:

أ- الاعتماد على الدروس الخصوصية يعود الأبناء على الاتكالية، وبالتالى نعطل نمو أبنائنا نموًّا سليمًا، فلا يقدرون على حمل أعباء الحياة، إننا بذلك نغفل قدرات الأبناء على تحمل المسئولية، ونقتل بأيدينا مبادرتهم الفردية وتحملهم الأعباء مع أنّهم قادرون على المبادأة وعلى الفعل.

ب- هذه الدروس لا تخلو من مفاسد أخلاقية لا سيما إذا رافقها الاختلاط بين الجنسين، والخلوة بينهما، وهناك قصص كثيرة تدل على عظم هذا الأمر وبشاعته، وخلوة المعلم بالطالبة تتيح له أن يكون المدرس الخصوصى لها فى المادة وفى غيرها من الأشياء، وخاصة عندما ينشغل الأب والأم، الأول فى صفقاته التجارية التى لا تنتهى، والثانية فى جلساتها وزياراتها مع النساء من صديقاتها، وعندها يحدث ما لا

تحمد عقباه، فهناك أب يروى أنه كان عائدًا إلى بيته من عمله عقب صلاة العشاء فوجد جمعًا من الجيران أمام منزله يتصايحون وينهالون بالضرب على المدرس الخصوصى لابنته ذات السنوات العشر من العمر، ولما استفسر عن الأمر تبين أنَّ المعلم حاول اغتصاب التلميذة فى أثناء تدريسه لها، ولما استغاثت البنت بأمها استغاثت الأخيرة بالجيران، واقتيد المعلم إلى الشرطة.

وهناك مدرس آخر، فى أحد الأيام شم جيرانه رائحة نتنة تنبعث من شقته، فأبلغوا الشرطة التى جاءت وكسرت الباب؛ لتكتشف أنه ميت على سريره عاريًا وحول رقبته آثار حبل، وبعد التحريات تبين أن ثلاثة من طلاب الثانوية الذين يعطيهم دروسًا خصوصيةً قتلوه انتقامًا؛ لأنه مارس معهم -كل على انفراد- الفاحشة وهددهم بفضح أمرهم إن عارضوا استمرار هذه العلاقة المشينة معه، فاجتمعوا على قتله ونفذوا ما تعاهدوا عليه.

فلزامًا عليك أخى المربى أن تكون على حذر من هذه الدروس وإن كان ولا بد فعليك بالتزام الآداب الشرعية كأن تدرس للبنات مدرسة مثلًا، وأن يدرس للأولاد مدرس مثلًا ويكون مؤمونًا تقيا وتسأل عن تقواه وورعه قبل علمه، لكى لا نرجع بعد ذلك ونندم.

٢ - مجموعة الأصدقاء والتربية السلبية:

إذا كانت الأسرة والمدرسة والحى من أبرز المؤثرات التى تساهم فى تكوين شخصية الفرد فإنّ جماعة القرناء والأصحاب لا تقل أهمية عن تلك العوامل بل قد تتفوق عليها؛ ذلك أنّ القرناء يتيحون لقرينهم إمكانية معارضة والديه من خلال قوة جماعة الرفاق التى ينتمى إليها والتى صار جزءًا منها فهى تسانده فى ذلك الموقف إضافة إلى شعوره (أنهم يمدونه بزاد نفسى لا يقدمه له الكبار أو الأطفال، ومن هنا جاء الإسلام بالحث على اختيار الرفقة الصالحة والتحذير من الرفقة السيئة لما لها من أثر على الفرد فيقول النبى صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالح

والجليس السوءِ كحامِلِ المسك، ونافخِ الكِيرِ، فحاملُ المسك: إِما أن يُحْذِيَكَ، وإِما أن تبتاع منه، وإِمَّا أن تجِدَ منه ريحًا طيِّبة، ونافخُ الكير: إِما أن يَحرقَ ثِيَابَكَ، وإِما أن تجد منه ريحًا خبيثَة». (أخرجه البخارى، ومسلم).

بل إن أثر القرناء قد يتجاوز السلوك الخلقى إلى التأثير فى الدين والعقيدة فقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله: «المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ» (أخرجه أبو داود، والترمذى).

وهناك دراسة ظهر منها أنَّ الأحداث قد ارتكبوا أفعالهم الانحرافية بمشاركة الآخرين كما دلت الدراسة على وجود علاقة بين جماعة الرفاق وانحراف الأحداث، وبينت دراسة أخرى أن أبرز مصادر الثقافة الانحرافية لدى الأحداث المنحرفين هم الأصدقاء، فعلى الأب أو المربى ألا يترك أولاده لأصدقاء السوء، بل يجب عليه أن ينظر ويبحث من هم أصدقاء ولده؛ (لأن الصاحب ساحب) كما يقولون.

المبحث الخامس: فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد

تجد من الأولاد من لا يراعى حق والديه، ولا يراعى مشاعرهما؛ فتراه لا يأنف من إبكائهما، وتحزينهما، ونهرهما، والتأفّف والتضجّر من أوامرهما، والعبوس وتقطيب الجبين أمامهما؛ فمن الناس من تجده فى المجالس هاشًّا باشًّا حسَن المعشر؛ فإذا دخل المنزل، وجلس إلى والديه انقلب ليثًا هصورًا لا يلوى على شىء؛ حيث تتبدّل حاله، فتذهب وداعته، وتحلّ غلظته وفظاظته.

ومن الأولاد من ينظر إلى والديه شزَرًا، قال معاوية بن إسحاق عن عروة بن الزبير -رحمهم الله ورضى عنهم: (ما برَّ والدَه مَنْ شَدَّ الطّرفَ إليه).

ومن قلّة المراعاة لمشاعر الوالدين قلّة الاعتداد برأيهما، والإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدّثا، وإثارة المشكلات أمامهما، وذمّهما عند الناس، والقدح فيهما، والتبرّؤ منهما، والحياء من الانتساب إليهما.

كل ذلك داخل فى العقوق، وقلة الرعاية لمشاعر الوالدين، وكأن هؤلاء لم يقرءوا قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

ولم يسمعوا قول النبي-صلى الله عليه وسلم: «الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللهِّ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوس»، (رواه البخارى).

فحرِى بالولد أن يسعى سعيه فى برّ والديه؛ فيحسن إليهما، ويخفض الجناح لهما، ويصغى إلى حديثهما، ويتودّد لهما بكل ما يستطيع من برّ وصلة، ويتجنّب كل ما يفضى إلى العقوق والتكدير.

- وكما أنَّ هناك من الأولاد من لا يحسن التعامل مع والديه، ولا يراعى مشاعرهما، فهناك من الوالدين من هو كذلك، فبعضهم يقسو على أولاده قسوة تخرجه عن طوره، فتراه يضربهم ضربًا مبرحًا عند أدنى هفوة، وتراه يبالغ فى عتابهم وتوبيخهم عند كل صغيره وكبيره، وتراه يقتّر عليهم مع قدرته ويساره، مما يجعلهم يشعرون بالنقص والحاجة، وربما قادهم ذلك إلى البحث عن المال إما بسرقة، أو بسؤال الناس، أو بالارتماء فى أحضان رفقة السوء؛ فيفقدون إنسانيّتهم، وكرامتهم.

ومن الوالدين مَنْ يحرم أولاده من الشفقة والحنان، وإشباع العواطف؛ مما يحدوهم إلى البحث عن ذلك خارج المنزل.

ويشتد الأمر إذا كان ذلك فى حق البنات؛ فهن أرقّ شعورًا، وأندى عاطفة؛ فإذا شعرت بفقر من هذا الجانب أظلمت الدنيا فى وجهها، وربما قادها ذلك إلى البحث عما يشبع عواطفها؛ ولعل هذا من أعظم أسباب المعاكسات، وضيعة الآداب.

ومما يجرح مشاعر الأولاد: التفريق بينهم، وترك العدل فى معاملتهم سواء كان ذلك فى العطايا والهبات والهدايا أو بالمزاح، والملاطفة والحنان.

ومما يدخل فى هذا القبيل احتقار الأولاد، وذلك بإسكاتهم إذا تكلموا، والسخرية بهم وبحديثهم مما يجعل الواحد منهم، عديم الثقة بنفسه، قليل الجرأة فى الكلام والتعبير عن رأيه.

ومما يدخل فى ذلك قلة العناية بتربيتهم على تحمل المسئولية، وعدم إعطائهم فرصة للتصحيح إذا أخطئوا.

ومن ذلك قلة المراعاة لتقدير مراحل العمر التى يمر بها الولد؛ فتجد من

الوالدين من يعامل ولده على أنه طفل صغير؛ مع أنه قد كبر، فهذه المعاملة تؤثر فى شعور الولد، وتشعره بالنقص.

ومما يجرحُ مشاعرَ الولدِ دخولُ والدِه فى كل صغيرة وكبيرة من أمره إذا تزوّج؛ فتجد من الوالدين من يفرض وصاية عامّة، ويضع سياجًا محكمًا على أولاده حتى بعد أن يتزوجوا؛ فتراه يدخل حتى فى شئونهم الخاصة، وربما أتى بيوتهم على غِرّة، وربما فرض عليهم آراءه التى قد تكون مجانبة للصواب.

كل ذلك من الخلل فى التربية، ومما يورث الخوف والتردّد، والهزيمة لدى الأولاد.

لذلك كان لزامًا على الوالد أن يراعى تلك الجوانب فى التربية، ومما يعينه عليه أمور منها:

١- تنمية الجرأة الأدبية فى نفس الولد: وذلك بإشعاره بقيمته، وزرع الثقة فى نفسه؛ حتى يعيش كريمًا شجاعًا صريحًا جريئًا فى آرائه، فى حدود الأدب واللياقة، بعيدًا عن الإسفاف والصفاقة؛ فهذا مما يشعره بالطمأنينة، ويكسبه القوة والاعتبار، بدلًا من التردّد، والخوف، والهوان، والذلّة، والصَّغار.

٢- استشارة الأولاد: كاستشارتهم ببعض الأمور المتعلقة بالمنزل أو غير ذلك، واستخراج ما لديهم من أفكار، كأخذ رأيهم فى أثاث المنزل، أو لون السيارة التى سيشتريها الأب، أو أخذ رأيهم فى مكان الرحلة أو موعدها، ثم يوازن الوالد بين آرائهم، ويطلب من كل واحد منهم أن يبدى مسوّغاته، وأسباب اختياره لهذا الرأى، وهكذا.

ومن ذلك إعطاؤهم الحرية فى اختيار حقائبهم، أو دفاترهم، أو ما شاكل ذلك؛ فإن كان ثَمّ محذور شرعى فيما يختارونه بيَّنهُ لهم.

فكم فى هذا العمل من زرع للثقة فى نفوس الأولاد، وكم فيه من إشعار لهم

بقيمتهم، وكم فيه من تدريب لهم على تحريك أذهانهم، وشحذ قرائحهم، وكم فيه من تعويد لهم على التعبير عن آرائهم.

٣- تعويد الولد على القيام ببعض المسئوليات: كالإشراف على الأسرة فى حالة غياب ولى الأمر، وكتعويده على الصرف، والاستقلالية المالية، وذلك بمنحه مصروفًا ماليًا كل شهر أو أسبوع؛ ليقوم بالصرف منه على نفسه وبيته.

٤- تعويد الأولاد على المشاركة الاجتماعية: وذلك بحثهم على المساهمة فى خدمة دينهم، وإخوانهم المسلمين إما بالدعوة إلى الله، أو إغاثة الملهوفين، أو مساعدة الفقراء والمحتاجين، أو التعاون مع جمعيات البر، وغيرها.

٥- التدريب على اتخاذ القرار: كأن يعمد الأب إلى وضع الابن فى مواضع التنفيذ، وفى المواقف المحرجة، التى تحتاج إلى حَسْمِ الأمر، والمبادرة فى اتخاذ القرار، وتحمُّل ما يترتب عليه، فإن أصاب شجّعه وشدّ على يده، وإن أخطأ قوَّمه وسدّده بلطف؛ فهذا مما يعوِّده على مواجهة الحياة، وحسن التعامل مع المواقف المحرجة.

٦- فهْم طبائع الأولاد ونفسياتهم: وهذه المسألة تحتاج إلى شىء من الذوق، وسبْر الحال، ودقّة النظر.

وإذا وُفِّق المربى لتلك الأمور، وعامل أولاده بذلك المقتضى -كان حريًّا بأن يحسن تربيتهم، وأن يسير بهم على الطريقة المثلى.

٧- تقدير مراحل العمر للأولاد: فالولد يكبر، وينمو تفكيره، فلا بدّ أن تكون معاملته ملائمة لسنه وتفكيره واستعداده، وألا يُعامل على أنه صغير دائمًا، ولا يُعامل أيضًا وهو صغير على أنه كبير؛ فيُطالب بما يُطالب به الكبار، ويُعاتب كما يُعاتبون، ويُعاقب كما يُعاقبون.

٨- تلافى مواجهة الأولاد مباشرة: وذلك قدر المستطاع خصوصًا فى مرحلة المراهقة، بل ينبغى أن يقادوا عبر الإقناع، والمناقشة الحرة، والحوار الهادئ البناء، الذى يجمع بين العقل والعاطفة.

٩- الجلوس مع الأولاد: فمما ينبغى للأب -مهما كان له من شغل- أن يخصص وقتًا يجلس فيه مع الأولاد، يؤنسهم فيه، ويسليهم، ويعلمهم ما يحتاجون إليه، ويقص عليهم القصص الهادفة؛ لأنَّ اقتراب الولد من أبويه ضرورى جدًّا؛ وله آثاره الواضحة، فهذا أمر مجرّب؛ فالآباء الذين يقتربون من أولادهم؛ ويجلسون معهم، ويمازحونهم -يجدون ثمار ذلك على أولادهم، حيث تستقرّ أحوال الأولاد، وتهدأ نفوسهم، وتستقيم طباعهم.

أما الآباء الذين تشغلهم الدنيا عن أولادهم، فإنّهم يجدون غبَّ ذلك على الأولاد، فينشأ الأولاد وقد اسودّت الدنيا أمامهم، لا يعرفون مواجهة الحياة، فيتنكبون الصراط، ويحيدون عن جادّة الصواب، وربما تسبب ذلك فى كراهية الأولاد للوالدين، وربما قادهم ذلك إلى الهروب من المنزل، والانحدار فى هاوية الفساد.

١٠- العدل بين الأولاد: فما قامت السماوات والأرض إلا بالعدل، ولا يمكن أن تستقيم أحوال الناس إلا بالعدل؛ فمما يجب على الوالدين تجاه أولادهم أن يعدلوا بينهم، وأن يتجنبوا تفضيل بعضهم على بعض، سواء فى الأمور المادية كالعطايا والهدايا والهبات، أو الأمور المعنوية، كالعطف، والحنان، وغير ذلك.

١١- إشباع عواطفهم: فمما ينبغى مراعاته مع الأولاد إشباع عواطفهم، وإشعارهم بالعطف، والرحمة، والحنان؛ حتى لا يعيشوا محرومين من ذلك، فيبحثوا عنه خارج المنزل؛ فالكلمة الطيبة، واللمسة الحانية، والبسمة الصادقة، وما جرى مجرى ذلك، له أثره البالغ فى نفوس الأولاد.

١٢- النفقة عليهم بالمعروف: وذلك بكفايتهم، والقيام على حوائجهم؛ حتى لا يضطروا إلى البحث عن المال خارج المنزل.

١٣- إشاعة الإيثار بينهم: وذلك بتقوية روح التعاون بينهم، وتثبيت أواصر المحبة فيهم، وتعويدهم على السخاء، والشعور بالآخرين، حتى لا ينشأ الواحد منهم

فرديًّا لا همّ له إلا نفسه، ثم إنَّ تربيتهم على تلك الخلال تقضى على كثير من المشكلات التى تحدث داخل البيوت.

١٤- الإصغاء إليهم إذا تحدثوا، وإشعارهم بأهمية كلامهم: بدلًا من الانشغال عنهم، والإشاحة بالوجه وترك الإنصات لهم، فالذى يجدر بالوالد إذا تحدث ولده -خصوصًا الصغير- أن يصغى له تمامًا، وأن يبدى اهتمامه بحديثه، كأن تظهر علامات التعجب على وجهه، أو يبدى بعض الأصوات أو الحركات التى تدل على الإصغاء والاهتمام والإعجاب.